المقدمة

الحمد لله رب العالمين، هادي المؤمنين إلى الصراط المستقيم ،ومنزل القرآن العظيم ،على قلب رسوله النبي الكريم ،ليخرج الناس من دياجير الظلمة والجهل والتفرقة إلى نور الهدى المبين ،والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي وحد القلوب قبل القوالب ،وربى أجيال الصحابة فكانوا نعم الأساتذة لكل من أراد علم المحبة والإيثار والوحدة ممن هو لها طالب ،فعلت الأمة بهم وترقت الإنسانية بهديهم وسمت المدنية والحضارة بمنهجهم فكانوا هداة رادة قادة لكل من للمعالي راغب ،وبعد :

فقد خلق الله آدم عليه السلام، وندبه وذريته من بعده إلى عمارة الأرض بمنهج الله: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: ٣٠)، ودعاهم تبارك وتعالى إلى التمسك بهديه الذي أرسل به أنبياءه: ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (البقرة: ٣٨).

وشاء الله بحكمته البالغة أن يختلف البشر في اتباعهم لأنبياء الله ورسله، فمنهم شقي وسعيد، وأرسل الله الأنبياء يقيمون حجته على خلقه، يدعونهم إلى دين الله الذي ارتضاه لخلقه ديناً ليكونوا من السعداء، ويحذرونهم من عصيان أمره حتى لا يكونوا من الأشقياء، ولكن إرسالهم لن يمنع تحقق ما قد سبق في علم الله، فإن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ (يوسف: ١٠٣).

وأمام هذه السنة الكونية فإن المسلم مطالب بدعوة الآخرين إلى الحق الذي شرح الله به صدره، وهو على يقين بأن هداية الله قد لا تكتب لكثيرين ممن يدعوهم، فلا يمنعه ذلك من بلاغهم: ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ (الشورى: ٤٨).

وحين يعرض الناس عن دعوة الله ولا يؤمنون بها، فإن المسلم لا يتوقف عن التفاعل مع الآخرين اجتماعياً وحضارياً، رائده في ذلك كتاب ربه، وأسوته نبيه ﷺ، إذ القرآن أمر بالإحسان إلى الوالدين والجار، ولو كانوا على غير دين الإسلام، كما حثّ على البر وحسن العشرة مع الذين لم يتصدوا لمقاتلة المسلمين والاعتداء عليهم، كما كانت حياته ﷺ نبراساً في التسامح وحسن التعايش مع الآخرين، ممن اختاروا إلفهم من العقائد والأديان.

واليوم وقد وصلت أمة الإسلام إلى ما نراه من التفرقة والتمزق في مكوناتها المذهبية أو العرقية أو القومية بل حتى أن أراضيها بدأت تمزق ويتشتت شعبها في أودية سحيقة من حروب طائفية أو عرقية ،حتى نخرت قوتها ،وضعفت شوكتها ، وأصابها الذل والهوان بعدما كانت هي قائدة الأمم إلى كل فضيلة ،وهي المنافحة والمحاربة

لكل رذيلة ،فصارت في مؤخرة ركب الأمم ،وصارت خادمة للأمم بعدما كانت مخدومة
كنا أساتذة الدنيا وسادتها ...فما بالنا اليوم أصبحنا من الخدم

ومع هذا البؤس الذي تعيشه هذه الأمة المحمدية العظيمة ولكنها أمة حية ،لاتموت ولكنها ربما تمرض ،ولا تعدم ولكنا قد تذبل وسرعان ما يدب فيها الحياة ،فتتوحد بعد فرقتها ،وترتفع بعد نزولها ،وتقوى بعد ضعفها ،وتتعافى بعد مرضها ،واليوم بدأنا نرى بوادر نهوضها ،وبدأ المارد الإسلامي المرعب لقوى الكفر يتململ ،وبلبل السعادة العظمى الذي يحرك أرواح محبي الإسلام أخذ يغرد ويتبلبل ،وبدأت أحوال الأمة تتغير وتتبدل .
وإسهاماً منا في هذا الباب نضع بين يدي القارئ الكريم هذا الجهد المتواضع ، والذي نرجو أن يعالج بموضوعية علمية مسألة دور الحوار والدعوة في توحيد صف الأمة.

وقد قسمت بحثي هذا الى : مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة وعلى هذا المنوال
المقدمة :
المبحث الاول:مفهوم الحوار والدعوة .
المبحث الثاني:مشروعية الحوار والدعوة .
المبحث الثالث:قواعد الحوار والدعوة واصولهما.
المبحث الرابع:الاسس المنهجيه للحوار والدعوة.
المبحث الخامس:ادب الحوار والدعوة.
الخاتمة :
واللهَ نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الاول: مفهوم الحوار والفاظ ذات صلة:

١-الحوار لغة : أصله من الحور، وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء.
يقول ابن منظور: " الحَوْر: هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء .. والمحاورة: المجاوبة، والتحاور التجاوب، والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة ".[١]
وقال تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾ (المجادلة: ١)، قال في الجلالين: "تراجعكما"[٢] أي في الكلام.
وورد هذا المعنى أيضاً في غير ما حديث نبوي, من ذلك أن النبي ﷺ كان يستعيذ من : ((الحَوْر بعد الكَوْر)).[٣] قال القرطبي : "يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة".[٤]
وقال ﷺ : ((من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله. وليس كذلك، إلا حار عليه))[٥]
قال النووي: " رجع عليه ".[٦]
ومما سبق تبين أن الحوار في معناه اللغوي هو مراجعة الكلام وتداوله، وهو ما يكون عادة بين شخصين أو بالأحرى بين طرفين أو أكثر.

الحوار اصطلاحا: لم تبعد تعريفات أهل الاصطلاح للحوار عن المعاني اللغوية السابقة، فقد أكدتها وأضافت إليها بعض المعاني والقيم الأخلاقية التي ينبغي توفرها في الحوار.

---

١ لسان العرب (٢١٧/٤).

٢ تفسير الجلالين (٧٢٤/١).

٣ رواه النسائي ح (٥٤٩٨)، وابن ماجه ح (٣٨٨٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح (٣١٣٦).

٤ الجامع لأحكام القرآن (٢٧٣/١٩).

٥ رواه مسلم ح (٦١).

٦ شرح النووي على صحيح مسلم (٥٠/٢).

ومن هذه التعريفات تعريف الدكتور صالح بن حميد، إذ اعتبر الحوار: " مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي ".[١]

وعرّفه بسام داود عجك بأنه: "محادثة بين شخصين أو فريقين , حول موضوع محدد , لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة , أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل , مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة, ولو ظهرت على يد الطرف الآخر".[٢]

وهكذا فالمحاورة هي تجاذب الكلام بين المختلفين، وما أضافه العلماء في تعريفه من شروط إنما هي ضوابط أخلاقية يفترض توفرها في الحوار ليكون مثمراً ومجدياً.

الدعوة لغة : بفتح الدال وسكون العين، جمع دعوات، المرة من الدعاء .[٣]

واصطلاحا : هي: "قيام من له الأهلية بدعوة الناس جميعاً لاقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم والتأسي به قولاً وعملاً واعتقاداً بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمان ومكان".[٤]

---

١ الحوار وآدابه (٢).

٢ الحوار الإسلامي المسيحي (٢٠).

[٣] الكتاب: معجم لغة الفقهاء ،المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي

الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م،٢٠٩/١

[٤] الكتاب: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ،المؤلف: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي ،الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م،٤٠/١

المطلب الثاني : حتمية الخلاف

إن التعدّد في المخلوقات وتنوّعها سنة الله في الكون وناموسه الثابت، فلكل شيء في هذا الخلق طبيعته وخصائصه وصفاته التي تقارب غيره أحياناً، وتتنافر عنها في أحايين أخرى، وهكذا فطبيعة الوجود في الكون أساسها التّنوّع والتّعدّد.

والإنسانية خلقها الله وفق هذه السنة الكونية، فاختلف البشر إلى أجناس مختلفة وطبائع شتى، وكلّ من تجاهل وتجاوز أو رفض هذه السُّنة الماضية لله في خلقه، فقد ناقض الفطرة وأنكر المحسوس.

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر بعض صور الاختلاف بين البشر، كاختلاف الألوان واللغات، وهما فرع عن اختلاف الأجناس والقوميات: ﴿ ومن آياته خلق السّموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين ﴾ (الروم: ٢٢).

وقد أكدت الآيات أن اختلاف البشر في شرائعهم هو أيضاً واقع بمشيئة الله تعالى ومرتبط بحكمته، يقول الله: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً﴾ (المائدة: ٤٨).

قال ابن كثير : "هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد ".[١]

وقال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدةً ولا يزالون مختلفين ۞ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ (هود : ١١٨– ١١٩).

قال ابن حزم: "وقد نص تعالى على أن الاختلاف ليس من عنده، ومعنى ذلك أنه تعالى لم يرض به، وإنما أراده تعالى إرادة كونٍ، كما أراد الكفر وسائر المعاصي".[٢]

قال القرطبي: "﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ قال سعيد بن جبير: على ملة الإسلام وحدها.. ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ أي:١ على أديان شتى قاله مجاهد وقتادة ".[٣]

---

١ تفسير القرآن العظيم (٦٧/٢).

٢ الإحكام في أصول الأحكام (٦٤/٢).

٣ الجامع لأحكام القرآن (١١٤/٩).

وقال ابن كثير: "﴿ولا يزالون مختلفين ۞ إلا من رحم ربك﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم .. قال الحسن البصري: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك، فمن رحم ربك غير مختلف".[١]

ويقول الفخر الرازي : " والمراد اختلاف الناس في الأديان والأخلاق والأفعال".[٢]

بل يرى الحسن البصري ومقاتل وعطاء وغيرهم من المفسرين أن الله خلق الناس ليختلفوا، وذلك لقوله : ﴿ ولا يزالون مختلفين ۞ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ (هود : ١١٨– ١١٩).

وذهب آخرون من المفسرين ومنهم ابن عباس ومجاهد وقتادة إلى أن اسم الإشارة يعود إلى الرحمة، أي: خلقهم ليرحمهم.

وذهب ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما إلى عود الإشارة إلى الإثنين معاً، أي: خلقهم ليختلفوا، وليرحم من سلك الصراط المستقيم.[٣]

يقول ابن سعدي: " يخبر الله تعالى أنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته أن لا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار..".

وعن قوله سبحانه: ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ قال : "أي اقتضت حكمته، أنه خلقهم ليكون منهم السعداء [و]الأشقياء، والمتفقون والمختلفون، والفريق الذي هدى الله، والفريق الذي حقت عليهم الضلالة، ليتبين للعباد عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر.. ".[٤]

وفي معنى الآية يقول محمد رشيد رضا : " ﴿لو شاء ربك﴾ أيها الرسول الحريص على إيمان قومه الآسف على إعراض أكثرهم عن إجابة دعوته واتباع هدايته ﴿ لجعل الناس أمة واحدة﴾ على دين واحد بمقتضى الغريزة والفطرة، لا رأي لهم فيه ولا اختيار، وإذاً لما كانوا هم هذا النوع من الخلق المُسمّى البشر وبنوع الإنسان، بل كانوا في حياتهم الاجتماعية كالنحل أو كالنمل، وفي حياتهم الروحية كالملائكة

---

١ تفسير القرآن العظيم (٤٦٦/٢).

٢ التفسير الكبير (٧٦/١٨).

٣ انظر : الجامع لأحكام القرآن (١١٤/٩).

٤ تيسير الكريم الرحمن (٣٩٦/٢).

مفطورين على اعتقاد الحقِّ وطاعة الله عز وجل، فلا يقع بينهم اختلاف. ولكنّه خلقهم بمقتضى حكمته كاسبين للعلم لا مُلْهَمين. وعاملين بالاختيار".[١]

ولما كان الاختلاف والتّعدّد آية من آيات الله، فإنّ الذي يسعى لإلغاء هذا التّعدّد كلية، فإنما يروم محالاً ويطلب ممتنعاً، لذا كان لابد من الاعتراف بالاختلاف.

والاعتراف بوقوع هذا الخلاف لا يعني إقرار هذه المختلفات ولا تسويغ الاختلاف فيها، لكنه يفرض على أهل الحق أن يتصدوا لهداية من قدروا على هدايته من المختلفين عنهم، مع يقينهم بالعجز عن إنقاذ الكثيرين ممن اختار العماية، قال تعالى: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ (الرعد: ٣١).

قال القرطبي: " والمعنى على هذا: أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً أن يشاهدوا الآيات ".[٢]

وعليه فإن هداية الجميع من المحال، فإن أكثر الناس لا يعلمون الحق، وأكثرهم لا يؤمنون به إن علموا به، وواجب الدعاة الدأب في دعوتهم وطلب أسباب هدايتهم، أي بذل الجهد في إزالة الخلاف ورفعه.

فإن أعرض من أعرض عن الإسلام فإنما أمر الله المسلمين بإبلاغ رسالاته في الدنيا، والله يتولى حساب المعرضين في الآخرة، قال الله مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ فإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾ (النحل: ٨٢).

قال القرطبي: " فإن تولوا أي أعرضوا عن النظر والاستدلال والإيمان؛ فإنما عليك البلاغ، أي ليس عليك إلا التبليغ، وأما الهداية فإلينا".[٣]

وقال تعالى: ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصيرٌ بالعباد﴾ (آل عمران: ٢٠).

قال الطبري: " وإن أدبروا معرضين عما تدعوهم إليه من الإسلام وإخلاص التوحيد لله رب العالمين، فإنما أنت رسول مبلغ، وليس عليك غير إبلاغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه من خلقي وأداء ما كلفتك من طاعتي، ﴿والله بصير بالعباد﴾ يعني بذلك: والله ذو علم بمن يقبل من عباده ما أرسلتك به إليه، فيطيعك بالإسلام، وبمن يتولى منهم عنه معرضاً فيرد عليك ما أرسلتك به إليه، فيعصيك بإبائه الإسلام ".[٤]

---

١ تفسير المنار (١٩٣/١٢).

٢ الجامع لأحكام القرآن (٣٣٠/٩).

٣ الجامع لأحكام القرآن (١٦١/١٠).

٤ جامع البيان (٢١٥/٣).

قال الشوكاني في سياق شرحه لقول الله تعالى: ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (الرعد: ٤٠): " أي: فليس عليك إلا تبليغ أحكام الرسالة، ولا يلزمك حصول الإجابة منهم، لما بلّغته إليهم، ﴿وعلينا الحساب﴾ أي: محاسبتهم بأعمالهم ومجازاتهم عليها، وليس ذلك عليك.

وهذا تسلية من الله سبحانه لرسوله ﷺ ، وإخبار له أنه قد فعل ما أمره الله به، وليس عليه غيره، وأن من لم يجب دعوته ويصدق نبوته، فالله سبحانه محاسبه على ما اجترم واجترأ عليه من ذلك".[١]

وقال تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر ۞ لست عليهم بمسيطر﴾ (الغاشية: ٢١-٢٢).

قال الطبري: " يقول: لست عليهم بمسلَّط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد، يقول: كِلْهم إليّ، ودعهم وحكمي فيهم... ".[٢]

قال ابن كثير: " ﴿فإن أعرضوا﴾ يعني المشركين ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ (الشورى: ٤٨) أي: ﴿لست عليهم بمصيطر﴾ (الغاشية: ٢٢)، وقال عز وجل: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (البقرة: ٢٧٢)، وقال تعالى: ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (الرعد: ٤٠)، وقال جل وعلا في آية الشورى: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ (الشورى: ٤٨) أي: إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم".[٣]

لذلك فإن الدعوة هي الأصل لا شخص الداعية! فليضق صدره. ولكن ليكظم ويمض. وخير له أن يصبر فلا يضيق صدره بما يقولون! إن الداعية أداة في يد القدرة. والله أرعى لدعوته وأحفظ. فليؤد هو واجبه في كل ظرف، وفي كل جو، والبقية على الله. والهدى هدى الله.

وإن في قصة ذي النون لدرسا لأصحاب الدعوات ينبغي أن يتأملوه.

وإن في رجعة ذي النون إلى ربه واعترافه بظلمه لعبرة لأصحاب الدعوات ينبغي أن يتدبروها.

وإن في رحمة الله لذي النون واستجابة دعائه المنيب في الظلمات لبشرى للمؤمنين: «وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ» ..

ثم إشارة إلى قصة زكريا ويحيى- عليهما السلام- واستجابة الله لزكريا عند ما دعاه:

---

١ فتح القدير (٣/٩٠).

٢ جامع البيان (٣٠/١٦٦).

٣ تفسير القرآن العظيم (٤/١٢١).

«وَزَكَرِيَّا إِذْ نادى رَبَّهُ. رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنا لَهُ، وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى، وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ. إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ، وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً، وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ» ..

المطلب الثالث : الحوار والدعوة لدين الله تعالى ضرورة حياتية:

وينضم إلى الأدلة الشرعية من الكتاب العزيز والسيرة النبوية ضرورة الحوار الواقعية والمتمثلة ما يعيشه العالم اليوم من ثروة هائلة في وسائل الاتصالات، وتدفق المعلومات، اختفت فيها الحدود، وتعذر عندها الاعتزال، فلا مجال للهروب منها، بل لا بد من الحوار حولها، والعمل المشترك على توظيفها في خدمة الدين الإسلامي ومواجهة تداعياتها السلبية.

المبحث الثاني: مشروعية الدعوة والحوار.

الدعوة لدين الله تعالى والحوار مع الآخر من الأمور التي تدعو إليها النصوص الشرعية، والضرورات الحياتية.

١- النصوص الشرعية:

لما بلغت البشرية نضجها العقلي، وحققت وعيها الروحي والذوقي جاء القرآن الكريم بمثله العليا وقيمه الإنسانية التي تولي الدعوة التي هي ميراث الأنبياء والحوار الهادف البناء أهمية كبرى، تظهر في اتساع دائرة الحوار، وشموله لما لا يحصى من المسائل؛ فهناك: محاورات بين الخالق ﷻ وبين مخلوقاته من الرسل الكرام – عليهم السلام– والملائكة المقربين، والشيطان الرجيم... وتناولت هذه المحاورات العديد من القضايا مثل: القرآن الكريم، اليوم الآخر...

وهناك محاورات بين الرسل –عليهم السلام– وأقوامهم، أو بين الأخيار والأشرار... وهناك محاورات مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومع مشركي العرب.

وإذا خاطب القرآن هذه الفئات الموجودة يومها، فإنه يعني مخاطبة أية فئة جديدة توجد عبر التاريخ مهما تنوعت مقولاتها الفكرية ليبرهن على مقدرة العقل الإسلامي لمواجهة أي فكر مستجد.

ومن الآيات الصريحة في الدعوة إلى الحوار:

- قوله تعالى ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٤) هذه الآية تفتح أبواب الحوار مع المسلمين وغيرهم على مصراعيه، دون أن يعني ذلك أن القرآن قد اعترف بأن ما عند الآخر غير المسلم هو حق، أو أن دينهم مساو للدين الإسلامي[١].

وتمشيا مع المبادئ الإسلامية الداعية إلى الحرية الكاملة في تكوين القناعات ينضم إلى الآيات السابقة التي تدعو إلى الحوار وتبين آدابه ما كان بين رسول الله ﷺ وصحابته من محاورات ومساجلات فكرية، كما كانت بينه وبين قومه محاورات ترويها لنا كتب السنن والسير؛ فقد بعث المشركون عتبة بن ربيعة ليعرض على رسول الله ﷺ أمورا لعله يقبل بعضها، فقال له الرسول ﷺ: قل يا أبا الوليد، أسمع... حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال: أفعل. فقال: بسم الله الرحمن الرحيم. حم. تنزيل (١-٥

[١] عجك، بسام داود: الحوار الإسلامي المسيحي، المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف/٤٢٤.

فصلت) إلى السجدة فسجد، ثم قال: {قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك} [١] فانظر رحمك الله تعالى إلى الإبداع في طريقة الدعوة لدين الله تعالى ،وإلى براعة المحاورة من رجل عرف كيف يكلم الرجال ويعطي لكل حقه ومستحقه .

المبحث الثالث: قواعد الدعوة إلى دين اللّه تعالى والحوار وأصوله .

للدعوة والحوار القائم على أسس منهجية رصينة في الفكر الإسلامي قواعد وأصول وأسس لابد للداعي والمحاور للغير أن يقف عندها كي تؤتي دعوته ثمرته والحوار مبتغاه. ولعل من أبرز هذه القواعد والأصول مما يناسب مقامنا هذا ما يلي:

أولاً: إخلاص النية للّه تعالى:

وحقيقة الإخلاص ألا يبتغي الداعي من دعوته وحواره مع الآخر إلا وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته وطلب حسن مثوبته، وبيان الحق والذب عنه، ودلالة الناس إلى الهدى وتثبيتهم عليه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا بد من حسن النية، فلو تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياء. وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله ومن ورثة الأنبياء خلفاء الرسل"(٢).

وإن مما يقدح في الإخلاص وينافيه: الرياء والسمعة وطلب الشهرة والتعصب للرأي، والرغبة في العلو والانتصار.

وقد ضرب الأنبياء والرسل عليهم السلام أروع الأمثلة في إخلاص دعوتهم لله في حوارهم مع أقوامهم، فهذا نوح مثلاً يقول: {يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } (٣)، وهذا صالح يقول: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ

---

[١] ابن هشام: سيرة ابن هشام١/٣١٣، وقال الألباني: إسناده حسن.

(٢) مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص٢٣٥.

(٣) سورة هود، الآية ٥١.

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } [١]. وهذا شعيب يقول: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } [٢].

ثانياً: العلم:

يعد العلم من القواعد والمقومات الأساسية للدعاة والمحاورين في سبيل الدين الحق، ومن أهم أسباب نجاحه. وبدونه تصبح الدعوة هدما والحوار هدراً للوقت وضياعاً للجهد. وذلك لأن العلم هو الوسيلة الصحيحة للتفكير السليم؛ ومن ثم الوصول إلى الحق. ولذا ذم الله سبحانه الذين يجادلون في الله بغير علم، فقال جل وعلا: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ } (٣)، كما أنكر سبحانه على أهل الكتاب محاجتهم بدون علم، حيث يقول: {هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } [٤]، يقول القرطبي: " في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له"[٥].

فلا يصلح أي إنسان للدعوة والحوار حتى وإن كان صاحب حق، فإنه ربما حاور بهدف نصر الحق فيخذل الحق؛ لضعف علمه وبصيرته، وربما حاور بجهل فيقتنع بالباطل الذي مع خصمه، وربما احتج بحجج باطلة، مثلما يحدث في بعض المناظرات والمحاورات التي تعقد في الآونة الأخيرة، فلا يقتنع الناس بالحق الذي معه.

ومن هذا الباب جاء نهي السلف الصالح عن مناظرة المبتدعة؛ لئلا يناظرهم من ليس قادراً على إفحامهم وإظهار الحجة عليهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة،

---

(١) سورة الشعراء، الآية ١٠٩.

(٢) سورة هود، الآية ٨٨.

(٣) سورة الحج، الآية ٨. وسورة لقمان، الآية ٢٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٦٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ج٤/ ص٧٠.

فيُخاف عليه أن يفسده ذلك المُضل، كما يُنهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل عِلجاً قوياً من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة"(١).

فمن الخطأ بمكان أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يعرف الحق أو لا يجيد الدفاع عن الحق. كما أن الجاهل بالشيء ليس كفؤاً للعالم به. ومن لا يعلم لا يجوز أن يدعوا أو يناظر من يعلم، وقد قرر هذه الحقيقة إبراهيم عليه السلام في محاجته لأبيه، حين قال {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً } (٢). ومن غير المقبول أن يقوم غير مختص ليعترض على مختص فيخطئه ويُغلِّطه، والواجب على من لا يعلم أن يسأل ويتفهم، لا أن يعترض ويجادل بغير علم.

ثالثاً: الاعتراف بالآخر واحترامه:

إن المنطلق الصحيح في إجراء أي حوار مع الغير هو الاعتراف بهذا الغير واحترامه وقبوله كما هو؛ ومن ثم قبول الاختلاف معه ،وإلا كيف تدعوه لدين الله تعالى وترغب في دخوله الإسلام وانت تعتقد أنه كحنون الذي قيل فيه (ما زاد حنون في الإسلام خردلة..ولا النصارى لهم شغل بحنون).

فهذا الاختلاف في منظور الإسلام إنما هو من آيات الله سبحانه الدالة على مشيئته وقدرته وحكمته، حيث يقول تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ } (٣)،،

إلا أن هذا الاختلاف ينبغي أن لا يُنسي المختلفين أنهم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً } (٤)، ويقول النبي ﷺ: " إنما أنتم ولد آدم"(٥). كما ينبغي أن

(١) درء تعارض العقل والنقل، ج٧/ ص١٧٣.

(٢) سورة مريم، الآية ٤٣.

(٣) سورة الروم، الآية ٢٢.

(٤) سورة النساء، الآية ١.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، الحديث رقم (١٧٣١٣)، ج٢٨/ص٥٤٨، وقال محققو المسند: "إسناده حسن".

أن لا ينسيهم أن الله كرم الإنسان من حيث هو إنسان، وأن لا ينسيهم ما هم مطالبون به من تعارف وتعاون على الخير، يقول عز وجل: وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }المائدة [١]، ولكي يتحقق هذا التعاون والتعارف ورد الحث في القرآن الكريم على الاعتراف بالآخر واحترامه، يقول عز وجل: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [٢]، ويقول عن أهل الكتاب: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ{٨٢} وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ{٨٣} [٣].

واحترام الطرف الآخر في الحوار يعني كذلك عدم السخرية منه والاستهزاء به والطعن فيه. يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [٤]،وهو موقف ينبغي التزامه حتى مع المخالف في الدين، امتثالاً لقوله عز وجل: وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ [٥][٦].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩٩.

(٣) سورة المائدة، الآيتان ٨٢ – ٨٣.

(٤) سورة الحجرات، الآية ١١.

(٥) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

(٦) انظر: الحوار من منظور إسلامي – للدكتور عباس الجراري، ص٣٤ – ٣٦.

المبحث الرابع: الأسس المنهجية للتعامل مع الآخر :للتعامل مع الآخر أسسه المنهجية التي تحكمه وتضبطه وهي :

الأساس الأول: تحديد مجال التعامل ونطاقه.

لابد أن يكون مجال التعامل ونطاقه محددين واضحين، ليتسنى لكل من المتعاملين العمل في خطى واضحة بينه مستنيرة، ذلك أن عدم وضوح مجال التعامل ونطاقه من شأنه إضاعة الوقت دون طائل وتبديد الطاقة دون فائدة، وعلى العكس من ذلك كلما اتضح مجال التعامل ونطاقه وتحددت معالمه كان ذلك ادعى إلى استغلال الوقت والجهد لأن كلا المتعاملين يعلم مجال تعامله فيصرف جهده إليه ويعلم المواطن التي ليست محلاً لتعامله فلا يصرف جهده إليها.

الأساس الثاني: تحديد آليات التعامل

يقصد بآليات التعامل: مجمل الإجراءات التنظيمية التي تساعد على بلوغ التعامل إلى مسعاه النهائي، وهذه الإجراءات والأدوات يجب أن تكون واضحة ومحددة من خلال الآتي: [1]

١. ضرورة التأكد من صحة المعلومات الواردة في الدعوة والحوار وذلك بتأكيده صحة مدعاه وأن لا يأتي بدليل يتطرقه الثلب والضعف.
٢. ضرورة مناقشة القضايا الواردة في التعامل دون أن يكون في الذهن قرار مسبق أو حكم ثابت أو موقف صارم.
٣. ضرورة الاستئناس بذوي الخبرة والمختصين الذين لهم دراية وفهم في الدعوة إلى الله تعالى وكيفية إقتناص الفرصة السانحة لطرح ما تريد طرحه من الحكم العالية لدين الله بحيث تستجلب إليك القلوب والأبصار .
٤. استخدام المناهج العلمية والمنطقية أثناء التعامل من خلال التفكير والتحليل والاستنباط، ليكون التعامل عقلانياً ورشيداً.
٥. ترتيب عناصر التعامل خطوة خطوة، ابتداء بالمبادئ الجزئية وصولاً إلى الكليات والنتائج الكبرى، التي هي هدف التعامل وغايته.

الأساس الثالث: استناد التعامل إلى معايير يؤمن بها المتعاملان

لابد من استناد التعامل إلى معايير يؤمن بها المتعاملان، فإذا كان التعامل بين مؤمنيين وملحدين كان المعيار هو العقل والحقائق العلمية المتفق على التسليم بها،

---

[1] الهيتي، الحوار، ص٦٨- ص٦٩.

وإذا كان بين مؤمنيين بوجود الخالق أضيف هذا إلى تلك المعايير، وأضيف إليه أيضاً المحاكمة إلى حقائق دينية يؤمن بها كل من الفريقين، وإذا كان بين منتسبين إلى دين واحد كالإسلام مثلاً كانت المعايير مراجع دينهم الذي به يؤمنون[١].

الأساس الرابع: تحديد الغاية من التعامل

لابد من تحديد الغاية من التعامل، إذ بدون تحديد أهداف ومرامي التعامل لن يصل المتعاملون إلى غايات مرجوة، فتحديد القضايا والأهداف يشكل مدخلاً هاماً لا يحيد عنه طرف من الأطراف، لئلا يكون التعامل دائراً في حلقة مفرغة[٢].

الأساس الخامس: العدل والموضوعية

وهما ركيزتان أساسيتان في التعامل مع الآخر، "ففي ظل فقدان العدالة والموضوعية، وغياب المعايير والمقاييس المنضبطة تصبح النظرة الجائرة والأحكام المسبقة في المقياس في التعامل مع الآخر. فعلى سبيل المثال فإن الغرب مع بعض الاستثناء يتبنى مواقف معادية للنهوض الإسلامي، وألغى العدالة والإنصاف في سياساته، واحتلت الأحكام المسبقة القائمة على الاتهام، والتوجس، وعدم اتخاذ موافق عادلة تجاه قضايانا المختلفة[٣]

الأساس السادس: الاحترام المتبادل

على المتعاملين أن يتقيدوا فيما بينهم بحسن الخطاب والتزام القول الحسن وتجنب الازدراء والتسفيه، ذلك أن احترام الآخرين من الأمور الإيجابية التي تسهم في إنجاح التعامل والارتفاع به إلى آفاق متقدمة. وهذه الآداب الإيجابية لها من الآثار الطيبة التي تسهم في بلورة معطيات وأسس ناجحة للتعامل يتسم بالانفتاح والقبول لدى كل الأطراف، وهذا الأسلوب أيضاً في اللين والقول الحسن يتجلى في التأدب والصبر والحلم والتودد والنصح والهدوء والرفق في غير علو ولا عناد ولا تعصب ولا تشدد ولا تنطع ولا تطاول ولا كبر وغيرها من الأساليب والطرق الحكيمة في آداب التعامل[

---

[١] إدريس، جعفر شيخ، الحوار مجادلة جادة لا مداهنة، مقال في مجلة البيان، السنة الثامنة عشرة، العدد: ١٩٠، جماد الآخرة، ١٤٢٤هـ، أغسطس، ٢٠٠٣، تصدر عن المنتدى الإسلامي، ص٤٥.

[٢] العليان، حوار الحضارات، ص ٨٣.

[٣] العليان، حوار الحضارات، ص ٨٧ نقلاً عن مقال رأي في جدلية التفاهم الثقافي السياسي بين الإسلام والغرب لرضا علوي، محلة العالم، العدد: ٤٨٤، ١٩٩٣، ص٣٢.

المبحث الخامس: ادب الدعوة والحوار مع الاخر.

لن يجد المتأمل في آيات القرآن وهدي سيد الأنام كبير صعوبة في التوصل إلى آداب الحوار وأخلاقياته، فالقرآن أوضح بجلاء ما ينبغي على المسلم أن يتصف به وهو يحاور غير المسلمين، بينما كان هدي النبي ﷺ ترجمان ذلك ومصداقه.
والآداب في هذا الباب كثيرة، منها:

١- قولوا للناس حسنا:

لما كان الحوار وسيلة من وسائل الدعوة والتعريف بالإسلام، توجب على الدعاة أن يتخلقوا حال دعوتهم بأخلاق الإسلام، ويجتنبوا السوء من القول، ويلتزموا الحسن منه، قال الله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ (البقرة: ٨٣).
قال القرطبي : " وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً، ووجهه منبسطاً طلقاً مع البر والفاجر والسني والمبتدع مداهنة، أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ (طه: ٤٤)، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه.
وقال طلحة بن عمر: قلت لعطاء: إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل فيّ حدة، فأقول لهم بعض القول الغليظ. فقال: لا تفعل، يقول الله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى ".[١]
وقال الحسن : "لين القول من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله، وأحبه ... قال عطاء بن أبي رباح: من لقيت من الناس فقل له حسناً من القول ".[٢]
ويأمر الله عباده أن يقولوا التي هي أحسن: ﴿قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ (الإسراء: ٥٣). قال القرطبي : " نزلت في عمر بن الخطاب، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه وسبه، وهمّ بقتله، فكادت تثير فتنة، فأنزل الله تعالى فيه ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ " [٣]

---

١ الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢).

٢ جامع البيان (٣٩٢/١).

٣ الجامع لأحكام القرآن (٢٧٦/١٠).

قال الحسن: "هو أن يقول للكافر إذا تشطط: هداك الله، يرحمك الله.. وعلى هذا تكون الآية عامة في المؤمن والكافر، أي قل للجميع ".[١]

قال ابن كثير: "﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾، أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب.. فأمر تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ وقوله: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ (النحل : ١٢٥) الآية، أي قد علم الشقي ".[٢]

ويلفت ابن تيمية النظر إلى أن الله قال: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل : ١٢٥)، فطلب الجدال بالتي هي أحسن، "ولم يقل بالحَسنة كما قال في الموعظة، لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة، فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن، حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة".[٣]

قال الشوكاني في تبيان معنى الحكمة: "أي بالمقالة المحكمة الصحيحة"، بينما فسّر الموعظة بأنها تلك "التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها".[٤]

وإن من الحكمة والموعظة الحسنة أن لا نجبه من ندعوه بقولنا: يا كافر. في باب العيب واللمز ، وإن كنا لا نشك في كفره يقول نظام الحنفي: "لو قال ليهودي أو مجوسي: يا كافر. يأثم إن شق عليه"[٥]، وذلك الإثم يلحق صاحبه لهجره الحكمة في الدعوة والتي هي أحسن في البلاغ.

٢- مقابلة الاساءة بالاحسان:

لا ريب أن اختلاف العقائد يورث الضغائن، وقد يصدر من اللسان ما يسوء المسلم سماعه، سواء ما كان متعلقاً بمعتقده أم بشخصه، وهذه الإساءة فرع عن الكفر الذي

---

١ الجامع لأحكام القرآن (٢٧٧/١٠).

٢ تفسير القرآن العظيم (٥٩٢/٢).

٣ الرد على المنطقيين (٤٦٨).

٤ فتح القدير (٢٠٣/٣).

٥ الفتاوى الهندية (٣٤٨/٥).

يتلبس به المحاور، فماذا يكون موقف المحاور المسلم؟ هل يغلق باب الحوار ويوقف مسار الدعوة، أم يتغاضى عن خطأ الآخر سياسة وصوناً لمصلحة الدعوة؟

لا ريب أن الموقف يفرض التصرف الأمثل الذي يسلكه الداعية تجاه هذا العدوان، إذ قد أذن الشرع برد العدوان : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ (النحل: ١٢٦)، قال القرطبي: " أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم، ولئن صبرتم عن عقوبته، واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم، ووكلتم أمره إليه حتى يكون هو المتولي عقوبته ﴿لهو خير للصابرين﴾ يقول: للصبر عن عقوبته بذلك خير لأهل الصبر احتساباً وابتغاء ثواب الله".[١]

وفي الصبر على أخطاء المخالف يقول الله: ﴿ادفع بالتي هي أحسنُ السيئةَ نحن أعلم بما يصفون ﴾ (المؤمنون: ٩٦).

قال الطبري : "وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها: أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك".[٢]

ويقول ابن كثير: " أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى..".[٣]

ونقل الطبري عن مجاهد في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ قولَه: "إن قالوا شراً، فقولوا خيراً: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ فانتصروا منهم".[٤]

وقال تعالى مبيناً للمؤمنين ما سيتعرضون له من أذى المشركين، وآمراً إياهم بالصبر والتقوى: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾ (آل عمران: ١٨٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأمر سبحانه وتعالى بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى .... وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على

---

١ الجامع لأحكام القرآن (١٩٥/١٤).

٢ جامع البيان (١٩٤/١٤).

٣ تفسير القرآن العظيم (١٤/١).

٤ جامع البيان (١/٢١).

ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة: ٨)، فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم... فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا..".[١]

وفي آية أخرى أخبر الله بتنكب كثير من أهل الكتاب طريق الإيمان وإعراضهم عما تبين لهم من الحق، بل وصدهم عنه وحرصهم على إضلال المهتدين حسداً وبغياً ، وفي مقابله أمر الله بالعفو والصفح حتى يكون الجزاء في دار عدله : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾ (البقرة :١٠٩). قال القرطبي: "والعفو ترك المؤاخذة بالذنب ، والصفح إزالة أثره من النفس".[٢]

وقد التزم ﷺ أمر ربه فصبر على أذى المشركين وأعرض عنه، ولم يقابل إساءتهم بالمثل، وصور ذلك في سيرته كثيرة.

منها ما صنعه النبي ﷺ مع اليهود الذين أتوا إليه يحاورونه، تقول عائشة رضي الله عنها: إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، قال: ((وعليكم))، فقالت عائشة: السام عليكم، ولعنكم الله، وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ : ((مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف أو الفحش)). قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: ((أولم تسمعي ما قلتُ؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيّ)).[٣]

ومثل هذا الأدب صنعه النبي ﷺ حين قسم قسماً فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، يقول ابن مسعود: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: ((يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا، فصبر)).[٤]

ومن حسن المعاملة الإعراض ما أمكن عن المنازعة وأسبابها، ولو بالإعراض عن الإجابة، روى ابن مردويه وابن أبى حاتم بسندهما عن ابن عباس أن قريشاً دعوا رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجل فيهم، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطأون عقبه أي يسودوه.

---

١ الاستقامة (٣٨/١).

٢ الجامع لأحكام القرآن (٧١/٢).

٣ رواه البخاري ح (٦٤٠١).

٤ رواه البخاري ح (٣٤٠٥)، ومسلم ح (١٠٦٢).

فقالوا: هذا لك عندنا يا محمد، وكفَّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، وهي لك ولنا فيها صلاح، قال: ((ما هي؟)) قالوا تعبد آلهتنا سنة اللات والعزى، و نعبد إلهك سنة.

قال: ((حتى أنظر ما يأتيني من ربي)) فجاءه الوحي من الله من اللوح المحفوظ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ [الكافرون: ١] إلى آخرها ".[١]

و قوله في هذا الحديث: ((حتى أنظر ما يأتيني من ربي)) نوع من التلطف في الخروج من الموضوع.

قال ابن تيمية: "قد يقول هذا من يقصد به دفع الظالمين بالتي هي أحسن، ليجعل حجته أن الذي عليه طاعته قد منع من ذلك، فيؤخر الجواب حتى يستأمره، وإن كان هو يعلم أن هذا القول الذي قالوه لا سبيل إليه، وقد تخطب إلى الرجل ابنته فيقول: حتى أشاور أمها، وهو يريد أن لا يزوجها بذلك، و يعلم أن أمها لا تشير به، وكذلك قد يقول النائب: حتى أشاور السلطان ".[٢] فالإعراض عن الجواب نوع من التلطف وأدب من آداب الدعوة والحوار.

٣- من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه:

لعل من الضروريات التي لا يحسن بأحد تجاوزها عدم خوض المرء فيما لا يملك عليه بينة ولا برهاناً، والرزية أن يهرف المرء بما لا يعرف، وأن يقول ما لا يعلم، وهذا الذي نعاه القرآن على أهل الكتاب، وهو ذم لكل من صنع صنيعهم، قال الله تعالى: ﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ (آل عمران: ٦٦)، قال القرطبي : " دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده .. قد ورد الأمر بالجدال لمن علم وأيقن، فقال تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ ".[٣]

وقال تعالى: ﴿إن الذين يجادلون فى ءايات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾ (غافر: ٥٦).

وفي هذه الآيات تقريع من القرآن الكريم لأولئك الذين يخاصمون الأنبياء، ويلجون إلى الحوار دون دليل ولا برهان، ولأنهم لا يملكون علماً ولا حجة، فإنهم يعالجون مسائلهم بالهوى والجدال بالباطل والتكذيب والاستكبار عن قبول الحق.

---

١ انظره : الدر المنثور (٢٤٥/٧).

٢ مجموع الفتاوى (٤٥٥/١٦).

٣ الجامع لأحكام القرآن (١٠٨/٤).

والنبي ﷺ – وهو أعلم الخلق – توقف في حواره مع أهل نجران حتى أتاه علم الله في المسألة التي يحاور فيها، إذ لما جاءه راهبا نجران عرض عليهما الإسلام، فقال أحدهما: إنا قد أسلمنا قبلك. فقال: ((كذبتما. إنه يمنعكما عن الإسلام ثلاثة: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وقولكم: لله ولد)).

قال [الحبر]: من أبو عيسى؟ وكان ﷺ لا يعجل حتى يأتي أمر ربه، فأنزل الله تعالى: ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (آل عمران: ٥٩))).[١]

فالمشاركون في الحوار مدعوون لالتزام هذا الهدي النبوي، وعدم الخوض في قضايا الحوار المختلفة إلا ببينة من الله أو برهان من رسوله.

٤- ترك المجال للمحاور بذكر معتقده

ولما كان الحوار يدور بين طرفين أو جهتين، فإنه من الطبيعي أن يعرب كل طرف عن معتقده، وأن يذكر ما يجول في خاطره من تساؤلات، يبحث عن إجابة لها، وقد يقع المحاور غير المسلم بما لم يعتده المسلم من أدب واحترام لشعائر الإسلام، فقد يذكر اسم النبي ﷺ مجرداً، وقد يقول بأن القرآن من كلام محمد، أو أن المسيح هو الله، وغيرها مما يعتقده ويستنكره المسلم ويستقبحه، بل قد يرغب المحاور بممارسة طقوسه وعبادته، فهل يؤذن له بذلك طلباً لاستمرار الحوار وطمعاً في مصلحة غالبة؟

وفي الإجابة عنه نقول: وقع مثل هذا زمن النبي ﷺ، فقد قبِل ﷺ من حَبر يهودي أن يخاطبه باسمه مجرداً من النبوة، إذ هو مما لا يعتقده محاوره، قال ثوبان: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول: يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ : ((إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي...)).[٢]

---

١ رواه الطبري في تفسيره (١٦٣/٣)، و أبو نعيم في دلائل النبوة (٢٥٨/٢).
٢ رواه مسلم ح (٣٥١).

وحين حاور النبي ﷺ في مسجده بالمدينة وفد نصارى نجران الذي قدم على النبي ﷺ في خمسة عشر رجلاً بقيادة أسقفهم أبي الحارث؛ أذن لهم النبي ﷺ أن يقيموا صلاتهم في أحد أركان مسجده.[١]

قال ابن القيم: "وفيها جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين، وفيها تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم أيضاً إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتياد ذلك ".[٢]

ويقول: "أما الآن فلا مصلحة للمسلمين في دخولهم مساجدَهم والجلوس فيها، فإن دعت إلى ذلك مصلحة راجحة جاز دخولها بلا إذن ".[٣]

ومن صور تسامح المسلمين في حوارهم مع أهل الكتاب تمكينهم من الإعراب عن عقائدهم ومحاورة المسلمين فيما يشكل عليهم فهمه من أمور الإسلام ، ومن ذلك أن المغيرة بن شعبة أتى أهل نجران "فقالوا: ألستم تقرؤون: ﴿يا أخت هارون﴾ (مريم: ٢٨)، وقد علمتم ما بين موسى وعيسى. قال المغيرة: فلم أدر ما أجيبهم.

فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته. فقال: ((ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم)).[٤]

يقول ابن تيمية: " وهذا السؤال الذي هو سؤال الطاعن في القرآن لما أورده أهل نجران الكفار على رسول رسول الله ﷺ، ولم يجبهم عنه: أجاب عنه النبي ﷺ، ولم يقل لهم: ليس لكم عندي إلا السيف، ولا قال: قد نقضتم العهد إن كانوا قد عاهدوه، وقد عرف أن أهل نجران لم يرسل إليهم رسولاً إلا والجهاد مأمور به ".[٥]

وهكذا فالإفساح للمخالف في الإعراب عن دينه وممارسة شعائره لون فريد من ألوان التسامح الإسلامي، وهو أيضاً أدب آخر من آداب الحوار والجدال.

---

١ ذكره ابن هشام في سيرته (٥١١/١)، ، ونقل مثله ابن القيم في زاد المعاد عن أبي أمامة (٦٣٠/٣-٦٣١)، وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٥/٤).

٢ زاد المعاد (٦٣٨/٣).

٣ أحكام أهل الذمة (٤٠٨/١).

٤ رواه مسلم ح (٢١٣٥).

٥ الجواب الصحيح (٢٢٦/١-٢٢٧).

٥- المداراة وحسن التعامل:

ومن آداب الحوار حسن المعاملة مع المحاور، ومداراة المحاور الآخر وإكرامه وحسن استقباله، فعن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: ((بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة)) فلما جلس تطلَّقَ النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه.

فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه، وانبسطت إليه فقال رسول الله ﷺ : ((يا عائشة، متى عهدتني فحَّاشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره)).[١]

وفي شرح الحديث ينقل ابن حجر عن القرطبي قوله: "في الحديث .. جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى ... والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معًا , وهي مباحة, وربما استحبت , والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا , والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقولٍ، فلم يناقض قوله فيه فعله , فإن قوله فيه قول حق , وفعله معه حسن عشرة ...".

وعقّب ابن حجر بقوله: " وهذا الحديث أصل في المداراة ".[٢]

ومن المداراة مناداة المحاورين غير المسلمين بما يليق بهم من ألقاب يستحقونها، وتحيتهم تحية مناسبة، كقوله ﷺ : ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم)).[٣]

قال ابن حجر : "قوله: ((عظيم الروم)) فيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمرة, لأنه معزول بحكم الإسلام , لكنه لم يخله من إكرام لمصلحة التألف..".[٤]

قال النووي: " ولم يقل : إلى هرقل فقط , بل أتى بنوع من الملاطفة فقال: ((عظيم الروم)) , أي الذي يعظمونه ويقدمونه , وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يدعى

---

١ رواه البخاري ح (٦٠٣٢).

٢ فتح الباري (٤٥٤/١٠).

٣ رواه البخاري ح (٧)، ومسلم ح (١٧٧٣).

٤ فتح الباري (٣٨/١).

إلى الإسلام، فقال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (النحل: ١٢٥)، وقال تعالى : ﴿ فقولا له قولاً ليناً ﴾ (طه: ٤٤) وغير ذلك".[١]

وأيضاً من المداراة للآخرين الفعل الحسن، كعيادة مريضهم، وإكرام وفدهم، تأسياً بالنبي ﷺ في صنيعه مع عدي بن حاتم الطائي وعكرمة بن أبي جهل قبل إسلامهما.

قال عدي بن حاتم: "أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم. وجئتُ بغير أمان ولا كتاب، فلما دُفعتُ إليه أخذ بيدي .. حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة وسادة، فجلس عليها ".[٢]

ولما قدم عكرمة بن أبي جهل على النبي ﷺ قال له : ((مرحباً بالراكب المهاجر))، وفي رواية الطبراني: فلما رآه النبي ﷺ قام إليه، فاعتنقه، وقال: ((مرحباً بالراكب المهاجر)).[٣]

ومن قبل أحسن النبي ﷺ معاملة أبيه على طغيانه وكفره، يقول المغيرة بن شعبة: إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أني كنت أمشي مع أبي جهل بمكة، فلقينا رسول الله ﷺ فقال له: ((يا أبا الحكم، هلم إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه، أدعوك إلى الله)).[٤] فناداه ﷺ بأحب الأسماء إليه تألفاً لقلبه.

ومن المداراة وحسن التعامل مع الآخر صنيع مؤمن آل فرعون مع قومه، فقد كان يقول لهم مع كل نصيحة : ﴿يا قوم﴾ (غافر: ٣٠، ٣٢، ٣٨، ٣٩، ٤١). يتألفهم بذلك. قال القرطبي: "فقال: ﴿يا قوم﴾ ليكونوا أقرب إلى قبول وعظه".[٥]

فالمحاور المسلم يتأدب بالرفق و اللطف والمدارة، إذ الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه.

---

١ شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٨/١٢).

٢ رواه الترمذي ح (٢٩٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ح (٢٣٥٣).

٣ رواه الترمذي ح (٢٧٣٥)، الحاكم في المستدرك ح (٥٠٥٩)، والطبراني في الكبير ح (١٠٢١)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ح (٥١٨).

٤ رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح (٣٥٨٢٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٦٧/٢).

٥ الجامع لأحكام القرآن (٣١٠/١٥).

٦- التنـزل مع الخصم في الحوار:

قال تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ (سبأ: ٢٤) قال القرطبي: "هذا على وجه الإنصاف في الحجة كما يقول القائل: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب، والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل على أمرين متضادين، وأحد الفريقين مهتد، وهو نحن، والآخر ضال، وهو أنتم".[١]

ونقل القرطبي قول بعض أهل العلم : "وقد علم أنه على هدى، وأنهم على ضلال مبين، ولكنه رفق بهم في الخطاب، فلم يقل: أنا على هدى، وأنتم على ضلال".[٢]

ويعلمنا الله هذا الأدب في التعامل مع الآخرين، وهو يؤدب نبيه بقوله: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ (الزخرف: ٨١)، قال القرطبي: "وقيل: المعنى: قل يا محمد: إن ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد ولده، ولكن يستحيل أن يكون له ولد، وهو كما تقول لمن تناظره: إن ثبت ما قلت بالدليل، فأنا أول من يعتقده، وهذه مبالغة في الاستبعاد، أي لا سبيل إلى اعتقاده، وهذا ترقيق في الكلام كقوله: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ (سبأ: ٢٤)، والمعنى على هذا: فأنا أول العابدين لذلك الولد، لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد ".[٣]

قال الطبري: " لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف في الكلام وحسن الخطاب، كما قال جل ثناؤه: ﴿ قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ (سبأ: ٢٤)، وقد علم أن الحق معه، وأن مخالفيه في الضلال المبين ".[٤]

ومثله صنيع إبراهيم عليه السلام من قبل، حيث قال لقومه: ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ۞ فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ۞ فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريءٌ مما تشركون ﴾ (الأنعام: ٧٦-٧٨).

قال الرازي: "هذه المباحثة إنما جرت مع قومه لأجل أن يرشدهم إلى الإيمان والتوحيد، لا لأجل أن إبراهيم كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه".

---

١ المصدر نفسه: (٢٨٩/١٤).

٢ المصدر نفسه: (١٤/٢).

٣ المصدر نفسه: (١١٩/١٦).

٤ جامع البيان (١٠٣/٢٥).

وقوله عليه السلام عن الشمس والقمر والكوكب: ﴿ هذا ربي﴾ إنما نوع من التدرج في إبطال ربوبيتها.

وقد ذكر الرازي وجوهاً في توجيه قول إبراهيم عليه السلام منها " أنه أراد أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب، إلا أنه عليه السلام كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبُعد طباعهم عن قبول الدلائل؛ أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه، فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحجة، وذلك بأن ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب، مع أن قلبه صلوات الله عليه كان مطمئناً بالإيمان، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإفساده وأن يقبلوا قوله، وتمام التقرير أنه لما لم يجد إلى الدعوة طريقاً سوى هذا الطريق، وكان عليه السلام مأموراً بالدعوة إلى الله كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر".[١]

قال ابن القيم: " قاله على سبيل التقرير، لتقريع قومه أو على سبيل الاستدلال والترقي "[٢]، وقال : "قيل: إنها على وجه إقامة الحجة على قومه، فتصور بصورة الموافق ليكون أدعى إلى القبول، ثم توسل بصورة الموافقة إلى إعلامهم بأنه لا يجوز أن يكون المعبود ناقصاً آفلاً ".[٣]

ودعا الله نبيه إلى تألف قلوب اليهود والنصارى ودعوتهم إلى الإسلام من خلال دعوتهم إلى محبب إليهم ، إلى اتباع ملة إبراهيم الذي يؤمنون به، وهي في الحقيقة دعوة كل الأنبياء، فقال: ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ۞ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون ﴾ (البقرة: ١٣٥-١٣٦).

قال الطبري: "احتج الله لنبيه محمد ﷺ أبلغ حجة وأوجزها وأكملها، وعلَّمها محمداً نبيَه ﷺ فقال: يا محمد، قل للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: ﴿كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ (البقرة: ١٣٥) : بل تعالوا فلنتبع ملة إبراهيم التي يجمِع جميعُنا على الشهادة لها؛ بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه، وأمر به، فإن دينه كان الحنيفية المسلمة، ونَدَع سائر الملل التي نختلف فيها، فينكرها بعضنا، ويقر بها بعضنا، فإن

---

١ التفسير الكبير (٤٠،٤١/١٣).

٢ دقائق التفسير (١١٢/٢).

٣ مدارج السالكين (٦١/٣).

ذلك على اختلافه لا سبيل لنا إلى الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم".[١]

ومن التنزل مع الآخر والرفق في مجادلته مخاطبتُه باصطلاحاته ولغته، يقول ابن تيمية: "وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه، إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعُرفهم، فإنَّ هذا جائزٌ حسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتاجوا إليه".[٢]

وقال رحمه الله: "ولا ريب أن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات كالسلاح في المحاربات، فإذا كان عدو المسلمين – في تحصنهم وتسلحهم – على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس والروم، كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو لله أطوع وللعبد أنفع، وهو الأصلح في الدنيا والآخرة، وقد يكون الخبير بحروبهم أقدر على حربهم ممن ليس كذلك، لا لفضل قوته وشجاعته، ولكن لمجانسته لهم، كما يكون الأعجمي المتشبه بالعرب – وهم خيار العجم – أعلم بمخاطبة قومه الأعاجم من العربي ".[٣]

ويقول: "كما نتنزل إلى اليهودي والنصراني في مناظرته، وإنْ كنا عالمين ببطلان ما يقوله اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥) وقوله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (العنكبوت:٤٦)، وإلا فعلمنا ببطلان ما يعارضون به القرآن والرسول ويصدون به أهل الإيمان عن سواء السبيل، وإن جعلوه من المعقول بالبرهان أعظم من أن يبسط في هذا المكان".[٤]

وقال الشيخ ابن سعدي: " فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه الحق أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود".[٥]

---

١ جامع البيان (٥٦٤/١).

٢ درء تعارض العقل والنقل (٤٣/١).

٣ مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٧).

٤ درء تعارض العقل والنقل (١٨٨/١).

٥ تيسير الكريم الرحمن (٩٣/٣).

لكن هذا لا يعني موافقة الآخر على أصوله الباطلة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والله تعالى لا يأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلمها الخصم إنْ لم تكن علماً، فلو قُدرَ أنه قال باطلاً، لم يأمر الله أن يحتج عليهم بالباطل، لكنَّ هذا قد يفعل لبيان فساد قوله وبيان تناقضه، لا لبيان الدعوة إلى القول الحق ودعوة العباد إليه..".[١]

٧- إنصاف المخالف بذكر محاسنه:

المسلم رائده الحق، والحكمة ضالته، فهو يأخذها ويقر بها بلا غضاضة، من أي طريق جاءت، فالرسول ﷺ قال لأبي هريرة عن الشيطان مصدر الشرور والآثام: ((صدقك، وهو كذوب، ذاك شيطان)).[٢]

وعلى هذا الأدب درج أصحاب النبي ﷺ فأقروا لمخالفيهم ما عندهم من صور إيجابية، قال المستورد القرشي وهو عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تقوم الساعة والروم أكثر الناس)). فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعتُ من رسول الله ﷺ.

قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلَم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك.[٣]

ولا غرو في ذلك الإقرار للمخالف بمزيته، فقد أدبهم القرآن وصاغهم ، حين دعاهم إلى التزام العدل مع المخالفين ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة: ٢).

فقد قال تعالى مثبتاً بعض خصال الخير لأهل الكتاب: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيلٌ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ (آل عمران: ٧٥).

وكذا أثنى النبي ﷺ على النجاشي بما فيه من خِلال الخير، وهو يومئذ على الكفر، فقال لأصحابه: ((إن بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد , فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجاً)).[١]

---

١ الرد على المنطقيين (٤٦٨).

٢ رواه البخاري ح (٣٢٧٥).

٣ رواه مسلم ح (٢٨٩٨).

وفي درس بليغ آخر يقبل النبي ﷺ من يهودي نصيحته، ففي الحديث ترويه قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حبر من الأحبار رسولَ الله ﷺ فقال: يا محمد، نِعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون؟ قال: ((سبحان الله! وما ذاك؟)) قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة.

قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئاً ثم قال: ((إنه قد قال [أي حقاً]، فمن حلف فليحلف برب الكعبة)).[٢]

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: "اقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافراً – أو قال فاجراً – واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إن على الحق نوراً".[٣]

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : " ولكنّ الحق يقبل من كل من تكلم به".[٤]

وهكذا فإن الحق رائد المحاور المسلم، كائناً من كان قائله، ورفض الحق والاستكبار عن قبوله من الآخر مجاف لآداب الإسلام، الذي يوصي المؤمنين: ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة:٢).

---

١ رواه ابن إسحاق في سيرته، انظر فتح الباري (١٨٨/٧).

٢ رواه أحمد ح (٢٦٥٣٣).

٣ رواه أبو داود ح (٤٦١١)، والبيهقي في سننه (٢١٠/١٠).

٤ مجموع الفتاوى (١٠١/٥).

الخاتمة

في ختام الحديث عن دور الحوار والدعوة في توحيد صف الأمة في مواجهة أعدائها ، فإن الباحث قد توصل إلى جملة من النتائج والتوصيات، من أهمها:

أولا: أهم النتائج.

١- الدعوة والحوار القائم على أسس منهجية رصينة أمر ضروري لإقامة علاقات طيبة مع الآخرين، لأن الإنسان لا يستغني عن أخيه الإنسان في معاملاته اليومية وحياته الشخصية.

٢- حث الشريعة الإسلامية على الدعوة بالتي هي أحسن والحوار الهادف بين مختلف التوجهات وعلى جميع المستويات، مع حرصها على توفير المناخ المناسب لهذه الحوارات.

٣- أن تصدر الدعوة والحوار من أناس على مستوى من العلم والذكاء، مع عرض للمسائل عرضا موضوعيا وبأسلوب شيق ومهذب، ويتصفون بسلامة القلب من الغرور والتباهي والأنانية، ولا يخالطها الهوى.

٤- حتى تحقق الدعوة المنضبطة والحوار البناء مقاصده لا بد أن يكونا فعالين، وذا مضمون هادف يثير اهتمام الجهة المخاطبة، ومن مستلزمات هذا الأمر معرفة رغبات المخاطَبين وآمالهم وأهدافهم، مع توفر الحرية في إبداء الرأي.

٥- الدعوة والحوار من أنجح الوسائل لتحقيق جملة من المقاصد الشرعية، مثل:

- التعارف، فالدعوة والحوار يساعدان على إيجاد مساحة من التفاهم مع الآخر لكي يتحرك الداعي بحرية أكبر، يستطيع المسلم وغير المسلم التعامل من خلالهما ضمن قدر مشترك من القيم الإنسانية النبيلة.
- التعاون، فالحوار والدعوة يحققان دعوة الإسلام التعاونية التي لا تنحصر في نطاق الأمة التي كونها، بل يكونان على نحو من السعة والشمول بحيث يسع "الحياة الإنسانية" بأكملها، دون تخصيص جانب على جانب، ولا طرف على طرف،

المصادر والمراجع:

١ – سنن النسائي الكبرى ،المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩١،تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري , سيد كسروي حسن نعدد الأجزاء : ٦
لسان العرب نالمؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،الناشر : دار صادر – بيروت نالطبعة الأولى،عدد الأجزاء : ١٥،

٢ – الجامع لأحكام القرآن ،المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) ،المحقق : هشام سمير البخاري ،الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م
٣ – تفسير الجلالين ،المؤلف : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ،وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ،الناشر : دار الحديث – القاهرة ،الطبعة الأولى،عدد الأجزاء : ١
١–سنن ابن ماجه ،المؤلف : محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ،الناشر : دار الفكر – بيروت ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،عدد الأجزاء : ٢،مع الكتاب : تعليق محمد فؤاد عبد الباقي
٤ – صحيح مسلم ،المؤلف : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، الناشر : دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت ،الطبعة :عدد الأجزاء : ثمانية أحزاء في أربع مجلدات
٥ – المعجم الوسيط . المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ،دار النشر : دار الدعوة ،تحقيق / مجمع اللغة العربية ،عدد الأجزاء / ٢
٦ – التعريفات ،المؤلف : علي بن محمد بن علي الجرجاني
الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ ،تحقيق : إبراهيم الأبياري

٧ – سنن الترمذي ،المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ،الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ،تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ،عدد الأجزاء : ٥
٨ – تفسير القرآن العظيم نالمؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ –٧٧٤ هـ]نالمحقق : سامي بن محمد سلامة ،الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م ،عدد الأجزاء : ٨
٩ – تاج العروس من جواهر القاموس ،المؤلف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي نتحقيق مجموعة من المحققين نالناشر دار الهداية،عدد الأجزاء / ٤٠

١٠ – آداب البحث والمناظرة للشنقيطي ،لفضيلة الشيخ : محمد الأمين بن المختار الشنقيطي
١١ – الإحكام في أصول الأحكام ،المؤلف : علي بن محمد الآمدي أبو الحسن ،الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٤،تحقيق : د. سيد الجميلي ،عدد الأجزاء : ٤
١٢ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ،المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،الناشر : مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م ،عدد الأجزاء : ١
١٣ – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،المؤلف : محمد بن علي الشوكاني ،عدد الأجزاء : ٥
١٤ – السيرة النبوية لابن هشام ،عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد ،سنة الولادة / سنة الوفاة ٢١٣،تحقيق طه عبد الرءوف سعد ،الناشر دار الجيل،سنة النشر ١٤١١،مكان النشر بيروت
١٥ – مجموع الفتاوى ،المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)،المحقق : أنور الباز – عامر الجزار ،الناشر : دار الوفاء ،الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م،مصدر الكتاب : موقع الإسلام
١٦ – مسند الإمام أحمد بن حنبل ،المؤلف : أحمد بن حنبل ،المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون،الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م،عدد الأجزاء : ٥٠ (٤٥+٥ فهارس).
١٧ – إحياء علوم الدين ،المؤلف : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ،الناشر : دار االمعرفة – بيروت ،عدد الأجزاء : ٤

١٨ – الموافقات ،المؤلف : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى : ٧٩٠هـ) ،المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،الناشر : دار ابن عفان ،الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ،عدد الأجزاء : ٧
١٩ – أحكام أهل الذمة ،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،الناشر : رمادى للنشر – دار ابن حزم – الدمام – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤١٨ – ١٩٩٧،تحقيق : يوسف أحمد البكري – شاكر توفيق العاروري ،عدد الأجزاء : ٣
٢٠ – زاد المعاد في هدي خير العباد ،المؤلف : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : ٧٥١هـ)،الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ،الطبعة : السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م ،عدد الأجزاء : ٥
٢١ – فتح الباري شرح صحيح البخاري ،المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩،تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،عدد الأجزاء : ١٣
٢٢ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ،الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣،تحقيق : محمد حامد الفقي
عدد الأجزاء : ٣
٢٣ – سير أعلام النبلاء ، مصدر الكتاب : موقع يعسوب
٢٤ – تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، لإبن جماعة الشافعي
٢٥ – الحوار مجادلة جادة لا مداهنة ،مقالة .أ.د. جعفر شيخ إدريس
مجلة البيان العدد ١٩٠ , جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ ،ينظر الموقع
http://www.jaafaridris.com/Arabic/aarticles/hiwar.htm